# الاتجاهات الجماعية والفردية
# فى الحياة العامة عند هوميروس

سلوى محمود نصر

الحديث عن المجتمع الـهومرى ، هو حديث فى المقام الأول عن مجتـمع فى مرحلة إنتقالية بكل المقاييس ، وهو أيضًا حديث عن مجتمع بدأ فيه الرعاة والفلاحون يتلمسون بحذر الإقدام على مغامرة التجارة[١] ، وهو المجتمع الذى بدأت فيـه أيضًا صيحة جديدة أخذت تتراجع بمـقتضاها المعتقدات الـدينية لتفسح المجـال للممارسة الدستوريـة كوسيلة للتنظيم الاجتماعى[٢] ، حيث تراوح مفهـوم المدينة فيما بين النضوج الكـامل الذى تمثله مدن مثل مـيكينى وإسبرطـة وأثينه ، وبين مناطق أخـرى لاترقى كثيرًا عن المجـتمعات السكنية المتواضعة ، أو التجمعات القبليـة البدائية ، التى لاتكتمل فيها مقومات الدولة ، وقد ورد ذكرها عند هومـيروس ، ومثال على ذلك جزيرة كريت التى كـان بها فيما بين التسـعون أو المائة مدينـة من هذه المدن ، ولكـن هوميروس لايذكـر منها إلا سبعـة لها مقومات الدولة سواء من حيث المساحة المناسبة ، أو عدد السكان الكافى [٣] ، دليل آخر على عدم تـكامل مفهوم الدولـة على نطاق واسع فى تـلك الفترة ، وعد أجاممـنون قائد اليونـان فـى حربـهـم ضد طـروادة ، بتقديم سـبعة من هـذه المدن كهديـة لابنته عـند زواجها[٤] ، وأصدق مثـال على مدى صغـر مساحة بـعض من هذه المدن ، وقـلة عدد سكانها ، هو تفكير الملك الإسبرطى منيلاوس فى إخلاء واحدة من هذه المدن الواقعة فى منطقة لاكونيه ، ليقيم فيها أوديسيوس وأتباعه [٥] .

كان هذا فيما يختص بالتجمعات السكانـية البدائية ومفهوم الدولة فى تلك الفترة ، أما فيما يختص باسم المجتمع ذاته ، فـهؤلاء الذين ذهبوا من أجل طروادة ، لم يكونوا قد صاغوا لأنفسهم إسما واحدا يعرفون به فى التاريخ ، وحتى ذلك الحين كانوا يعرفون بثـلاثة أسماء وردت بـشكل متـرادف فى ملحـمتى هومـيروس [٦] الا وهـى الأخيـون « Ἀχαιοί » والدنائيون « Δαναοί » والأرجيون « Ἀργεῖοι » .

وفى ظل مجتمع له مثل هذه المقاييس ، يصبح من المتوقع أن يترك الطابع الإنتقالى بصماته على القيم والنزعات ، التى تشكل الإطار أو الهيكل للحياة العامة . وفى واقع الأمر فالحياة العامة فى المجتمع الهومرى ، تأرجحت بشكل واضح ، فيما بين النزعات الفردية التى تنتمى للماضى القريب ، حيث القيم السياسية والاجتماعية ، التى لم تكن قد تعمقت جذورها بشكل عملى ، وبين النزعات الجماعية لمستقبل ما زال بعيد المنال ، تصبح فيه مثل هذه القيم ، مركز إلتفاف لدولة مدينة متطورة .

بناء على ذلك فمادة هذه الدراسة تعتمد على الأنشودة التى تعرف باسم « غضب أخيليوس » من الإلياذة ، وذلك نظرًا لأنها أولاً : فيما يختص بعنصر الزمن ، تعبر عن كيان متكامل ممتد بالقدر الذى يكفى لإعطاء صورة واضحة تمامًا عن سير الحياة العامة ، وذلك سواء من خلال مجرى واقع الأحداث ، أو من خلال إسترجاع الأيام الخوالى وذكريات الشخصيات الرئيسية ، ومن خلال التعمق فى الماضى ، ليس فقط من بداية العشر سنوات المفترضة التى يستعرضها لنا الشاعر على أنها تمثل الفترة الواقعية للحرب ، ولكنها فى بعض الحالات كانت تمتد بالقدر الكافى الذى يغطى ثلاثة أجيال كاملة من حياة الآخيين.[٧] هذا عن البند الأول ، أما عن البند الثانى ، فرغم أن الشاعر يتناول فى هذه الأنشودة فى مجملها موضوع الحرب ، إلا أنه يتعدى ميدان العمليات العسكرية ، ليتعامل مع العديد من الأحداث والمواقف ، والعلاقات ، وتفاصيل أخرى شتى تتعلق بمختلف القضايا الاجتماعية والسياسية .

- ١ -

ولنبدأ بالحديث عن الاتجاهات الفردية ، وهنا نجدها تظهر لأول مرة فى مستهل ملحمة الإلياذة ، حيث يتوجه الشاعر بالرجاء للإلهة لتتغنى بغضب أخيليوس الذى : « جر شرورا لاتعد ولاتحصى على الآخيين » ، حسب تعبيره[٨] ، والسبب فى ذلك هو الشقاق الذى حدث بين أخيليوس ، أحد قادة اليونان ، وأجاممنون قائدهم الأعلى ، عندما حاول أجاممنون الاستيلاء على فتاة أخيليوس التى سباها من بين بنات طروادة . هذا الموقف من أخيليوس تبدو النزعة الفردية واضحة فيه ، وهو المشهود له بأنه أفضل المحاربين ، وواحد من أوائل القادة الآخيين [٩] .

هذا ومن خلال موقع أخيليوس فى القوات الآخية ، وفى المشهد الذى تدور حوله هذه الدراسة ، نستطيع أن نتبين بوضوح ، أربعة أسباب جعلته يتخلى عن إستمراره فى الدور المنوط به فى الحرب التى تهم كل الآخيين بصفتهم الجماعية . هذه الأسباب تبدو كلها شخصية ، ومع ذلك فقد كانت كافية بهذه الصفة الشخصية ، لأن يقنع بها رجل يشغل موقعا ملكيا ، ومن ثم يفترض فيه أن يتحمل مسئولية تتناسب مع حجم هذا الموقع . وأحد هذه الأسباب يتعلق بالممتلكات الشخصية ، أو لتحقيق مكاسب أخرى ففى ذروة غضب أخيليوس على موقف آجا ممنون تجاهه ، نجده يتخذ القرار- بل ويضع القرار موضع التنفيذ - إنه لاجدوى له من الاستمرار فى محاربة الطروادين ، طالما أنهم لم يتسببوا فى أى نوع من الأذى لأبقاره أو لخيوله ، كما لم يهدروا محاصيله .(١٠)

" οὐ γάρ πώ ποτ' ἐμὰς βοῦς ἤλασαν οὐδὲ μὲν ἵππους,
οὐδέ ποτ' ἐν Φθίῃ ἐριβώλακι βωτιανείρῃ
καρπὸν ἐδηλήσαντ';

هذا وفى سياق نفس الصراع نجد أخيليوس يلوم آجاممنون لأخذه الفتاة بريسيس "Briseïs" منه وهى « المكافأة التى أتعبه الحصول عليها »(١١) .

"καὶ δή μοι γέρας αὐτὸς ἀφαιρήσεσθαι ἀπειλεῖς,
ᾧ ἔπι πολλὰ μόγησα, δόσαν δέ μοι υἷες Ἀχαιῶν."

بينما نجده فى مناسبة أخرى يدعو الآلهة زيوس وأثينا وأبوللو أن يفنى كل من الآخيين والطروادين سواء بسواء ، ولاينجو من هذا المصير سواه وصديقه الحميم بتروكلوس . . .(١٢)

أما فيما يخص الهدف الثانى للحرب ، كما يقدمه أخيليوس ، فقد كان هو الآخر ، هدفا شخصيا ، إذ كان للدفاع عن الشرف . وهنا نجد آخيليوس يقدمها من وجهة نظر تتصف بأنها شخصية مطلقة ، فهؤلاء الذين ذهبوا مع آجا ممنون إلى طروادة لاستعادة الملكة الفارة سرا ، أقدموا على ذلك من هذا المنطلق .

وردا على محاولة أوديسيوس فى إقناعه للمحاربة ثانية ضمن صفوف الآخيين ، نجد أخيليوس يذكر أنه لاجدوى من ذلك طالما « أنها كانت فقط من أجل هيلينى التى من أجلها قاد ابن أتريوس الأرجيين للحرب ضد الطروادين »(١٣) . وطالما أن الموقف الذى اتخذه آجا ممنون تجاهه كان موقفا استفزازيا ، الأمر الذى فقد معه أجاممنون حقه فى

مساعدة أخيليوس . وفى واقع الأمر كان هذا هو ما ألمح إليه أخيليوس مرة أخرى فى نفس الحديث ، عندما يتذكر بمرارة ضياع الليالى المسهدة التى قضاها فى ترقب ، والأيام الدامية التى قضاها فى المعارك « محاربا مع أزواج يحاربون من أجل زوجاتهم »[١٤] .

*"ὣς καὶ ἐγὼ πολλὰς μὲν ἀϋπνους νύκτας ἴαυον,*
*ἤματα δ' αἱματόεντα διέπρησσον πολεμίζων,*
*ἀνδράσι μαρνάμενος ὀάρων ἕνεκα σφετεράων."*

أما عن السبب الثالث وهو يخص عودته للإشتراك فى هذه الحرب ، فقد كان من أجل الانتقام لموت صديقه باتروكلوس ، فقد ترك أخيليوس الآخيين وحدهم ليدفعوا أذى هجمات الطرواديين ، حيث تعرضوا لأوقات عصيبة على يد هؤلاء المحاربين الأشداء ولم تكن المبررات كافية من جهة الزعماء الآخيين ، ولم يكفى التوسل ليثنيه عن موقفه هذا[١٥] . إلا عندما قتل زميله وصديقه الحبيب باتروكلوس على يد هكتور ، هذا الأمر وحده كان كفيلا ليقوده لميدان المعركة مرة أخرى انتقاما لصديقه .[١٦]

وأخيراً وليس آخرا فى هذا الصدد ، يأتى المجد الشخصى كسبب رابع لهذه الحرب فى المجتمع الهومرى ، وهو بالضرورة أمر كان يدور بخلد أخيليوس ، عندما عقد العزم على المحاربة بعد مقتل باتروكلوس ، فقد كان حريصا على أن يشعرهم جميعا بمدى ثقل عودته إلى ميدان المعركة ، هذه العودة التى غيرت مجرى الأحداث .[١٧]

*"γνοῖεν δ' ὡς δὴ δηρὸν ἐγὼ πολέμοιο πέπαυμαι.*
*μηδέ μ' ἔρυκε μάχης φιλέουσά περ· οὐδέ με πείσεις."*

من خلال ذلك كله ، فلم يكن فى موقف أخيليوس أية بادرة لقيمة جماعية ، فبعد مجابهته القوية مع آجاممنون إمتنع عن القتال ، وهو يعرف تماماً أن كثير من الآخيين سوف يلقون حتفهم على أيدى الأمير الطروادى قاتل الرجال هكتور.[١٨] هذا هو الأمر الذى تيقن منه فى أكثر من مناسبة[١٩] حيث نجده يحث أمه ، الآلهة ثيتيس ، لتستخدم كل قدراتها الإقناعية لتحث زيوس كى يساعد الطرواديين ، وليحصر الآخيين بين مؤخرة سفنهم وفى البحر حيث يذبحون[٢٠] . والأكثر من ذلك أنه وضع قسمه وتهديده موضع التنفيذ ، وذلك بالامتناع عن الذهاب إلى مقر الاجتماع وميدان المعركة[٢١] ، حيث كان الآخيون يعانون من الهزيمة ، حتى أن آجاممنون فقد كل أمل فى الاستيلاء على طروادة ، وسمح لهم بالهرب إلى موطنهم .[٢٢]

هذا الاتجاه الفردى الذى لم يحيد عنه ، حتى عندما حمل له بتروكلوس النبأ السيئ عن المحاربين الأخيين الأشداء الذين سقط كثير منهم تحت وطأة الهجمات الثقيلة للطروادين ، ولكن على العكس من ذلك ، فقد وصل إلى أبعد مدى عندما أعلن أنه لن يترك نفسه عرضة للتأثير عليه ليسلك هذا المسلك من أى قائد من القواد الدنائيين الذين حاولوا تدبر الأمر معه .(٢٣)

- ٢ -

على أى الأحوال ، ففى الوقت الذى نجد فيه من جانب إتجاهات فردية واضحة فى المجتمع الهومرى ، فمن الجانب الآخر نجد عددًا من المواقف التى يظهر فيها الاتجاهات الجماعية ، وذلك من خلال تصرفات ومواقف عدد من القادة الأخيين . فعلى سبيل المثال ، أظهر كل من نستور وأوديسيوس نضوجا فى مفهوم العلاقة بين الفرد والمجتمع على أسس إيجابية ، فى محاولة أخيرة لوضع نهاية للنزاع بين أخيليوس وأجاممنون ، حيث نجد نستور يضع القضية برمتها فى إطار الثلاث قيم المتداولة والتى تفصل بين الرجل الأخى والمجتمع الذى يعيش فيه : القرابة أو النسب ، القانون ، والمنزل « رجل بلا عشيرة ، بلا قانون ، بلا قلب » كما يقول نستور « هذا الذى يستحب نزاعا فظيعا بين بنى جلدته . »(٢٤) .

*"ἀφρήτωρ ἀθέμιστος ἀνέστιός ἐστιν ἐκεῖνος*
*ὃς πολέμου ἔραται ἐπιδημίου ὀκρυόεντος."*

هذا الإتجاه الجماعى صور بأكثر من طريقة ، فالتواجد الفعلى للأخيين لما يمكن أن يوصف بأمة أو جنس ، هو أمر ماثل بشكل مستمر تحت أعين الآخيين « فسوف يسعد الطروادين بكل تأكيد » كما يقول نستور « أن يسمعوا بالنزاع الدائر بين رجال طلائع الأخيين »(٢٥) . فهذا أوديسيوس يحث أخيليوس حتى يعود للصفوف مذكرا إياه بالمصير السيئ الذى ينتظر الأخيين على أيدى الطروادين ، ويضيف مؤكدا على نفس القيمة الجماعية « إذا كنت تكره بشدة آجا ممنون وعطاياه فكن على الأقل رحيما ببقية الأخيين »(٢٦) .

هذا ونستطيع أن نلمح أيضًا إحساسا بالشرف الجماعى ينمو بين الأخيين ، والواقع أن الحرب ضد طروادة كانت قد بدأت تعطى منيلاوس تعويضا عن الزوجة الغارة مع

الأمير الطروادى . هذه الواقعة التى عرضت من قبل أخيليوس من زاوية شخصية بحتة ، هى ذاتها التى تعرض الآن بمنظور ما يمكن أن نطلق عليه الآن شرف أمة ، الذى لايمكن بأى حال من الأحوال أن يستخف به ، وهو ما يعبر عنه نستور حيث يقول « لاتدع أى رجل يسرع فى الرحيل والعودة إلى الوطن ، حتى يستطيع كل منهم أن يضطجع مع زوجة رجل طروادى تعويضا عن كفاحه الشديد وأنينه من أجل هيلينى »[٢٧] .

*"τῶ μή τις πρὶν ἐπειγέσθω οἰκόνδε νέεσθαι,*
*πρίν τινα πὰρ Τρώων ἀλόχῳ κατακοιμηθῆναι,*
*τίσασθαι δ' Ἑλένης ὀρμήματά τε στοναχάς τε."*

وفى هذا المجال أيضًا ، فقد أعطى شاعر الإلياذة لهذه الواقعة مسحة دينية ، وذلك عندما لجأ لإثنتين من الإلهات وهما هيرا وأثينه ، حتى يقمن بحث الآخيين على الصمود أمام هجوم الطرواديين العنيف [٢٨] ، هذا بالإضافة إلى دور الإله أثينه مع أوديسيوس بصفة خاصة حتى تثنيه عن فراره وعودته لوطنه ، تاركا لبريام والطرواديين عزتهم ، وهيلينى التى مات من أجلها فى طروادة الكثير من الآخيين بعيدًا عن موطنهم الغالى .[٢٩]

ولكن اللجوء إلى هذا العنصر الدينى لم يكن فقط لكونه قضية جانبية تهدف إلى إثارة بعد له قيمة جماعية بين الآخيين ، ولكن الشاعر أقدم على ذلك عن قصد ، ومن منطلق أنه واحد ضمن أبعاد عديدة للقضية ، مثل تلك التى تتعلق بالكيان والشرف . هذا ومن أجل حث آجا ممنون لإعادة التفكير فى قراره بترك محاربة الطرواديين ، نجد نستور يذكره بأن زيوس قد وعد الآخيين بالنصر مما يوضح أنه تبنى قضيتهم ضد أندادهم ، وهى علامة أعطتها القوة الإلهية العليا « عندما ركبوا سفنهم السريعة الأسطورية حاملين المصير المحتوم للطرواديين »[٣٠] . هذا ويذكرهم أوديسيوس بإشارة إلهية أخرى تتعلق بالزمن المحدد للنصر [٣١] .

هذه هى الأبعاد الثلاثة للمفهوم المتزايد للمسئولية الجماعية ، التى تمناها فى الطليعة نستور وأوديسيوس ، وساندها القائدان الآخيان بأكثر من وسيلة . فقد أخذ أوديسيوس يطوف بين قادة الجيش ليأخذوا حذرهم من مغبة قرار أجاممنون ، الذى إتخذه فى ساعة غضب من أخيليوس ، والذى من الممكن أن يسبب الضرر لأبناء الآخيين ويذكرهم فى أكثر من مناسبة بأنه سيكون من المخزى ومن الجبن من جانبهم ، ترك ميدان المعركة

والعودة خالين الوفاض متناسين كيف اجتمعوا فى أوليس متوعدين بالويل بريام والطروادين .(٣٢)

هذا بالإضافة إلى أن نستور قد وضع بفطنته قواعد السلوك الجماعى ، وذلك عندما خص بالذكر عنصريين أساسيين من شأنهما أن يعطيا المعنى اللازم لإستمرارية المجتمع الآخى : وذلك إما من منطلق المفهوم الواسع ، الذى يأخذ فى الاعتبار أعضاء المجتمع الآخرين ، الذين يتقاسمون نفس المصير ، وبالتالى يجب أن يكون لهم نصيب فى القرارات التى ستؤثر على هذا المصير ، أو بمفهومها العميق ، الذى يأخذ فى الاعتبار تجربة الأجيال السابقة ومبررات استمرارية المجتمع . وفى أكثر من مناسبة نجد نستور يؤكد لأجاممنون ، وفى بعض الأحيان لأخيليوس أيضًا ، أهمية السماع لآراء الآخرين ، قبل إتخاذ أى قرار (٣٣) ، وهو يتحدث أيضًا عن الماضى العظيم الذى كان فيه المحاربون فى منزلة الخالدين ، من حيث القوة والبطولة والشهامة ، والمغزى واضح ، بأن يكون سلوكهم قدوة للآخيين ، إما بشكل مباشر بإستمالة الجمع ، أو بشكل غير مباشر من خلال وصف الشاعر الذى يصوره على أنه شهد جيلين سابقين ، عندما ولد وترعرع ، ثم أصبح ملكا فى الجيل السادس (٣٤) ، وهو بمثابة تجسيد حى للإستمرارية التى تصل خبرة الماضى مع سلوك الحاضر ، وهو أمر يعطى للمجتمع بعدا زمنيا أو عمقا فى الماضى يضاف إلى بعده البشرى الذى يمثله تجمع الآخيين .

وفى هذا الصدد نستطيع أن نقول أن هناك مواقف كان تصرف القادة الآخيين فيها يتأرجح بين المفهوم الفردى والمفهوم الجماعى ، ومع ذلك فالقيم والنزعات ، كما هو متوقع ، لم تكن أمورًا محددة بشكل قاطع فى المجتمع الهومرى ، أو هكذا كان الحال على سبيل المثال بالنسبة لأجاممنون ، الذى كان بلاشك عنيدا وأنانيا مثل آخيليوس ، ولم يكن دائمًا مدركا لمصلحة الآخرين بنفس القدر الذى كان عليه شخص مثل نستور أو مثل أوديسيوس . وربما كانت العلاقة المتوترة بينه وبين آخيليوس هى العامل الرئيسى الذى أثر على تصرفه فى هذا المجال .

وبالرغم من أن أجاممنون كان سيد الآخيين وقائدهم ، فقد كان آخيليوس معروفا بأنه أفضل المحاربين بينهم ، وهو لم يكف عن إظهار موقفه إزاء أجاممنون كلما سنحت الفرصة(٣٥) ، على الأقل فى مناسبتين ، فأجاممنون أفصح عن تخوفه من الأمر بألفاظ واضحة فهو يقول مشيرا إلى آخيليوس : إن هذا الرجل - متذمرا فى بداية الصراع بينه

وبين آخيليوس - « يعتزم أن يسمو على كل الآخرين ، ويعتزم أن تكون له السلطة على الجميع ويصبح ملكا بين الجميع » [٣٦] .

*"ἀλλ' ὅδ' ἀνὴρ ἐθέλει περὶ πάντων ἔμμεναι ἄλλων,*
*πάντων μὲν κρατέειν ἐθέλει, πάντεσσι δ' ἀνάσσειν*
*πᾶσι δὲ σημαίνειν, ἅ τιν' οὐ πείσεσθαι ὀΐω."*

هذا وبمرور بعض الوقت ، وفى عرض لإنهاء الصراع ، أظهر أجاممنون إستعدادًا لإرضائه وبشكل غاية فى الكرم : « فقط » كما يقول سيد الآخيين ، « إذا إمتثل لى ، نظرا لأننى أكثر لياقة للملك ويعترف بأننى أكبر منه سنا » . [٣٧]

*"καί μοι ὑποστήτω, ὅσσον βασιλεύτερός εἰμι*
*ἠδ' ὅσσον γενεῇ προγενέστερος εὔχομαι εἶναι."*

وفيما بين بداية الصراع ونهايته ، تأرجح أجاممنون فيما بين السلوك الجماعى والسلوك الفردى ، ففى البداية على سبيل المثال ، وعلى الرغم من أنه لم يستخف بكلمات كلخاس العراف ، عندما أخبر جمع الآخيين أن أبنة خريسيس التى أخذها الملك كمكافأة له ، وفتن بها ، يجب أن ترد إلى أبيها ، نجد أنه يقرر إعادتها إلى أبيها لأنه « يفضل أن يرى الشعب آمنا على أن يراه هالكا » . [٣٨]

*"βούλομ' ἐγὼ λαὸν σόον ἔμμεναι ἢ ἀπολέσθαι.*

ومع ذلك ، وعلى الرغم من هذا السلوك الجماعى من جانبه ، فإننا نجده فى نفس الوقت منغمسا فى سلوك فردى واضح ، حيث يهدد باسترجاع فتاة آخيليوس ، ويضع تهديده موضع التنفيذ ، وهو يعلم تمام العلم بتهديد آخيليوس بالتوقف عن القتال إذا أقدم على ذلك ، وهو على بينة تمامًا بالآثار السيئة لمثل هذا التراجع بين صفوف المحاربين الآخيين . [٣٩]

مرة أخرى ، عندما تعرض الآخيون ، فى غيبة آخيليوس للضغط الشديد من قبل الطرواديين ، لم يفكر أجاممنون فى البداية فى استرضاء أخيليوس ، بالرغم من أنه كان يعرف تمام المعرفة ، كما صرح ذات مرة ، أن عودته للصفوف سوف تحسن موقف الآخيين ، فقد قرر بالأحرى أن يطلب منهم الهروب والرجوع لموطنهم ، تاركين خلفهم واجبا لم ينته بعد . [٤٠] هذا التردد بين المفهومين الفردى والجماعى يظهر مرة أخرى ،

بشكل أكثر قربا من التفكير الجماعى ، فبعد أن اتفق نستور والآخرون بالعدول عن وضع قراراته موضع التنفيذ ، إعترف بتسرعه فى اتخاذ القرار وبخطاه بأن ترك لنفسه العنان فيما يمكن أن يطلق عليه صراع بلا طائل ... على فتاة ، ليعود أدراجه إلى القضية العامة ، حيث حث رجاله ليعدوا أنفسهم لأنه من الممكن « أن يناضلوا طوال اليوم فى حرب كريهة » ولقد أتبع ذلك لاحقا بتصرف أخر له معنى جماعى مطلق ، وذلك عندما أبدى استعداده مكافأة أخيليوس إذا عاد إلى ميدان المعركة وامتثل لسلطة أجاممنون .(٤١)

وفى الوقت الذى ما زال فيه الحديث عن المواقف التى يصعب تحديد إنتمائها بشكل واضح وصريح لأى من النزعتين ، نجد مثالا آخر يفرض نفسه ، هذه المرة من بين صفوف عامة الشعب ، فقد كان ثرسيتس هو الوحيد بين الآخيين ممن ينتمون لأصل عامى ، الذى تجرأ ووقف معلنا رأيه ، فيما اعتقد بأنه وضع غير مقبول . فقد وبخ أجاممنون بشدة ، متهما إياه بأنه نسى القضية العامة التى من أجلها تبع الآخيون إلى طرواده ، ليشبع رغبته الأنانية ، وبفعلته هذه « جر المصائب على أبناء الآخيين » وينهى ثرسيتس إتهامه لأجاممنون ، بتقديم إقتراح مؤداه أن يترك الآخيون قائدهم بمفرده فى طرواده ويعودوا أدراجهم .(٤٢)

وبالرغم من أن هذا ما ورد عند هوميروس ، سواء بشكل مباشر أو من خلال كلمات أوديسيوس ، فهو وصف سيء للغاية (٤٣) فمن الممكن أن نميز لمسة مشاعر جماعية فى حديث ثرسيتس . فقد عانت القوات بالفعل ، سواء من الطاعون أو من هجمات الطروادين ، وبالنسبة لفكر ثرسيتس الذى مهما بدا بسيطا أو متواضعا ، فإن تصرف أجاممنون باستيلائه على مكافأة أخيليوس نفسه والمتمثلة فى الفتاة تسبب فى القضية برمتها وماجرته من معاناة . وبالرغم من هذه النبرة التى تظهر فى حديث ثرسيتس والتى يمكن أن تمثل فكرا جماعيا ، إلا أننا نجده يحث الرجال ليعودوا أدراجهم ، تاركين أجاممنون خلفهم ، فمن هنا ندرك أنه ببساطة ينفث عن غضبه ، سائلا الآخيين أن يتركوا مهمتهم الجماعية العامة قبل أن تتم ، فقط نكاية فى قائد يتصف بالأنانية .

- ٤ -

تأسيسًا على ما سبق من نقاش ، وحتى يقترب الموضوع من منظوره الحقيقى ، فالمفهوم الجماعى المطروح من خلال المشاعر أو المواقف أو النزعات ، لم يكن إلا مفهوما نسبيا من الممكن أن ينسحب على صعيدين سواء بالنسبة للأمراء الأخيين أو بالنسبة لهؤلاء الذين ينتمون إلى القاعدة الشعبية . والمثال على ذلك نجده عند أوديسيوس الذى لم يلقى بالا لرأى عامة الرجال ، عندما كان يحاول إقناع القوات بعدم وضع أوامر أجاممنون بالعودة إلى وطنهم موضع التنفيذ . بل نجده يتجه فقط إلى الزعماء ووجهاء القوم للإقناع . أما بالنسبة لموقفه من عامة الشعب ، فقد كان لايتورع عن الضرب بعنف لمثيرى الشغب من بينهم ، طالبا منهم أن ينصتوا بإمعان لما يقوله الآخرون حيث يرى أنهم أفضل من هؤلاء العامة الذين نعتهم بأنهم لايصلحون للحرب ، ضعفاء ، وأقل من أن يحسب لهم حساب سواء فى الحرب أو فى المجلس . لذلك وبناءًا على موقفه هذا ، وجه إلى ثرسيتس كلمات شديدة القسوة وسبه ، وعلاوة على ذلك اعتدى عليه بالضرب بعصاة على كتفيه .(٤٤)

وخلاصة القول ، أنه فى مجتمع يحكمه نظام طبقى حاد ، مثل المجتمع الهومرى الذى نحن بصدد الحديث عنه ، ربما كان من الضرورى أن نأخذ فى الاعتبار دائمًا ، أن القضية العامة تصبح فيه أكثر عرضة للإقتراب من وجهة النظر الطبقية ، وبناءًا على ذلك نستطيع أن نتبين وبشكل أفضل ، ليس فقط موقف ثرسيتس ، بل أيضًا موقف جموع الرجال الذين ينتمون لنفس طبقته . هذا بالرغم من أنه فى خضم إنتقاده لتصرفات أجاممنون ، وصف أخيليوس بأنه يفضله بكثير ، ولكن هذا لايمنع أنه كان من أعماق نفسه ضد كليهما ، ونستطيع أن نفهم من كلام هوميروس ، أنه بالمثل كان مكروها بالنسبة لأخليوس وأوديسيوس أكثر من غيره ، نظرا لتحفزه الدائم لسبهما .(٤٥)

وعلى كل الأحوال فمن الممكن القول بأن المواقف والتساؤلات المطروحة كانت مرتبطة إلى حد كبير بالمنظور الطبقى ، منها على سبيل المثال موقف أوديسيوس ، أو المشاحنات التى كانت تدور بين الطبقة العليا حول غنيمة مثلا ، مثلما حدث بين أجاممنون وأخيليوس . كل هذه الأمور تؤدى إلى نتيجة واحدة تتلخص فى أن متابعة قضية عامة لايمكن له أن يتم إلا فى نطاق الحدود التى تسمح بها الظروف الطبقية فى المجتمع .(٤٦)

## الحواشى

(١) بالنسبة للأرض كمصدر أساسى فى إقتصاد هذا المجتمع راجع :

Iliad, I, 152 - 6, XVIII, 54, 1 - 78; Od., Vii, 331 - 3, IX. 105 FF.

(٢) عن البحر كطريق للتجارة واعتباره مغامرة محفوفة بالمخاطر ، مثل مغامرات أوديسيوس فى الأوديسة راجع :

Od., V, 130 - 41.

(٣) عن المجتمعات البدائية التى لم تعرف الحياة الدستورية راجع :

Od., IX, 112 FF., XIX, 170 - 180, IL. II, 645 FF

(٤) IL., IX, 149.

(٥) Od., IV., 174.

(٦) عن هذه الأسماء راجع :

IL., I, 2 FF, 42 FF., 79 FF.

راجع أيضًا :

M, Finely, The World of Odysseus, 1962 p. 20.

(٧) IL., 250 - 2

راجع أيضًا :

Denys L. Page, History and the Homeric Iliad, California, 1963, pp. 297 - 315.

(٨) IL., 1 - 5

(٩) IL., I., 286 FF., XVIII, 55 - 6

(١٠) IL., I, 152 - 6